سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

وصايا عامة

لفصيلة الشّيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، صلوات الله وسلامه علىٰ نبينا محمد، كفاء ما أرشد وعلم، وكفاء ما جاهد حتىٰ تركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.

وصلىٰ الله علىٰ آله وعلىٰ صحبه وعلىٰ من تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد ..

فإن موضوع هذه المحاضرة هو:

وصايا عامة

وإن الوصية لها شأن في هذا الدين ذلك أنه جاء في القرآن وجاء في السنة ذكر أوامر كثيرة ونواه بلفظ الوصية، كما في الوصايا العشر التي جمعت في آخر سورة الأنعام بين الأوامر والنواهي، قال جل وعلىٰ في أولها: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، قال في آخر الآية الأولىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[الأنعام]، ثم قال في الآية الأخرىٰ ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾[الأنعام:١٥٢] ثم في الثالثة قال ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

فالأوامر والنواهي وصية عظيمة من الوصايا التي في الكتاب السنة، ولهذا لا غرابة أن يكون المرء مستوصًا به، وأن يكون موصيا، فهو قد وصي، وكذلك ينبغي له أن ينقل هذه الوصية إلىٰ من بعده، فالوصية في هذا الدين أمرها عظيم.

[الوصية الأولى: تقوى الله عز وجل]

وأعظم الوصايا التي وصّىٰ الله بها عباده المرسلين وعباده المتقين من أول ما خلق الله آدم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها: **تقوىٰ الله جل جلاله**، ذلك أنّ الله ﷻ أمر المرسلين جميعا أن يأمروا أقوامهم وأن يوصوهم بتقوىٰ الله جل وعلا، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء:١٣١].

وإذا تأملت الشعراء وجدت أن كل رسول يأتي ويقول لقومه كما في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[الشعراء]، وهذا فيه الحث والترغيب والأمر بالتقوىٰ، قال جل وعلا أيضا في قصة قوم صالح وفي قصة قوم هود كل أولئك يقول الله جل وعلا للرسل أن أؤمروا أقوامكم بتقوىٰ الله جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾[الشعراء]، فالأمر بتقوىٰ الله جل وعلا أجمعت عليه الرسل، وهو أعظم وصية علىٰ الإطلاق وآخر من وصّىٰ أمته بتقوىٰ الله جل جلاله نبينا محمد ﷺ، قال جل وعلا: بِسْمِ اللَّهِ

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾[هود]، وهذه هي حقيقة التقوىٰ.

قال العلماء: **التقوىٰ أصلها وَقْوَىٰ**؛ لأنها مأخوذة من الوقاية، هي من وقىٰ يقي، إذا كان الشيء وقاية لشيء آخر قيل هذا وقاية، وذاك اتخذ تقوىٰ من ذلك الشيء، ومنه كما قال العلماء في استشهاداتهم علىٰ هذه المادة منها قول الشاعر في امرأة سقط منها نصيفها قال الشاعر:

سـقط النصـيف ولـم تـرد إسـقاطه فتناولتـــــه واتقتنـــــا باليـــــد

يعني أنها جعلت يدها وقاية بينها وبين أولئك الذين يرونها.

فحقيقة **التقوىٰ أن تجعل بينك وبين ما تخافه وقاية.**

ولهذا قال بعض السلف في تعريف التقوىٰ: أن التقوىٰ أن تطيع الله علىٰ نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تخشىٰ الله وأن تطيع الله وتبتعد عن مناهيه، تخشىٰ الله وتخشىٰ عقابه علىٰ نور من الله جل جلاله. يعني أن التقوىٰ جمعت في الأمر والنهي بين أن تكون ممتثلا للأمر علىٰ نور من الله وأن تكون مبتعدا عن المنهيات علىٰ نور من الله، ترجو ثواب الله في ما تمتثل من الأوامر، وتخشىٰ عقاب الله فيما تنتهي عنه من النواهي.

إذا تبين هذا فإن النبي ﷺ أمر المؤمنين بتقوىٰ الله، حيث أمر ذلك الذي استوصاه بقوله: «**اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها**».

وتقوىٰ الله في القرآن أقسام منها:

التقوىٰ العامة التي خاطب الله بجل وعلىٰ بها جميع الناس في نحو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾[الحج]، وفي نحو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[النساء:١] في آية النساء وغير ذلك من الآيات.

قال العلماء هذه المرتبة هي المرتبة التي يجب تحصيلها علىٰ كل أحد، فهذه التقوىٰ يؤمر بها المسلم، ويؤمر بها الكافر، وحقيقتها أن تكون موحدا لله جل وعلا مبتعدا عن الشرك ووسائله؛ لأن أول درجات التقوىٰ عذاب الله وأن تتقي سَخَطه، وأن تتقي العقوبة في الدنيا وفي الآخرة بأن تكون موحدا مخلصا لله جل جلاله، مبتعدا عن الشرك ووسائله.

قالوا: وهذا فيه من علم وتعلم؛ لأن تحصيل التوحيد في القلب، وتحصيل فروعه، لابد له من علم، فمن الناس أن كثيرا من الأمور التي عدها العلماء من أفراد التوحيد أنها من التوحيد، وذلك لعدم علمهم بذلك، كذلك لا يعلم أن بعض الشركيات التي قد يمارسها بعض الناس أنها من الشرك، وهذا إذا كان كذلك ولم يتعلم التوحيد والشرك فإنه لم يحصّل هذه الوصية العظيمة التي وصىٰ الله جل وعلا بها المرسلين والأنبياء، وأمرهم أن يوصوا أقوامهم بذلك.

فأول الدرجات أن تكون ساعيا سعيا حثيثا في أن يكون قلبُك مع الله جل وعلا، وصلاح القلب ونوره إنما بكون الله جل وعلا فيه وبتخليص القلب من أن يكون فيه رغب ونظر إلىٰ غير الله جلا وعلا، فإن

حقيقة لذة القلب وحقيقة التقوىٰ التي تحصل في القلب؛ لأن مكان التقوىٰ هو القلب، التقوىٰ هاهنا وأشار إلىٰ صدره ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام، إنما يكون بأن يكون الله جل وعلا وحده في قلب العبد، فإذا دخل غير الله جلا وعلا في قلب العبد فإنه ينزاح منه من التقوىٰ بقدر ما دخل من ذلك، يكون غير الله جلا وعلا في قلب العبد؛ يعني من جهة التوجه من جهة الإخلاص من جهة الإقبال، فيكون في القلب حب الدنيا، يكون في القلب حب الجاه، يكون في القلب حب المال، يكون في القلب حب السمعة، يكون في القلب حب الملذات والشهوات، فإذا قويت هذه في القلب ضعفت التقوىٰ حتىٰ ربما وصلت بالمرء إلىٰ أنه يفرّط في الأوامر ويفرّط في أمر النواهي يعني يغشىٰ النواهي ويترك الأوامر.

فصلاح القلب في تحصيل هذه الدرجة العظيمة من تقوىٰ جلا وعلا وهي بأن تخلص القلب من غير الله جلا جلاله، وهذا إنما يكون بالمحاسبة، فإنّ لذة القلب إنما هي بالله جل وعلا، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقله تلميذه العلامة ابن القيم: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، أو من لم يعرفها لم يعرف جنة الآخرة. وهذه الجنة التي في الدنيا هي جنة لذة القلب بمعرفة الله جل وعلا وتوحيده والأنس به، فإن القلب المخبت المنيب أحوج ما تراه يكون لنفسه أن يكون مقبلا علىٰ الله منقطعا عن الخلق؛ يعني أنه إذا خالط الناس فيخالطهم مخالطة الكاره لذلك، وأما قلبه فإنما هو معلق بالله جل وعلا في الأقوال وفي الأعمال، إذا تحرك قلبه فإنما يتحرك لله جل وعلا، وإذا فكر قلبه فإنما يفكر في أمر الله جل وعلا وفي دينه وفي ما يجب عليه وفي ما يحرم.

وأساس هذه الدرجة أن يكون القلب معلّقا بالجنة خائفا من النار، قال جل وعلا: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[القصص]، قوله هنا: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ يعني ذلك القلب الذي قامت به التقوىٰ وأثمرت عملا صالحا واقتراب من الأوامر وبعدا عن النواهي، وإن لكل شيء وسيلة.

فتحصيل هذه الدرجة من درجات التقوىٰ، والتقوىٰ كما ذكرنا هي أعظم وصية من وصايا الله جلا وعلا لعباده: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[النساء:١٣١]، ما تُحَصّل به هذه التقوىٰ أن يكون نظر المرء إلىٰ الجنة كأنها أمامه وإلىٰ النار كأنها أمامه، فينظر إلىٰ الجنة وما فيها إلىٰ النعيم ويوشك في يقينه أن يصير إليها إن رَحِمَهُ ٱللَّهُ جل وعلا ومات علىٰ الإيمان وعلىٰ التوحيد، وينظر إلىٰ النار وما فيها وما أخبر الله جلا وعلا عما ما في النار من النكال والعذاب، فيخاف ويرىٰ نفسه وكأنه إن لم يرحمه الله جل وعلا قد واقع ذلك العذاب.

صلاح القلب بأن لا تغيب الجنة ولا النار عن ذلك القلب لحظة واحدة، فإذا كان القلب آتاه هذا النور آتاه هذا الصلاح كان متقيا لله جل وعلا بأعظم أنواع التقوىٰ ألا وهو تحصيل الطاعات، تحصيل التوحيد وفروع التوحيد، والبعد عن الشرك وعن المنهيات.

إن هذا الأمر ألا وهو معرفة التوحيد ومعرفة ضده وهو الشرك يحتاج إلىٰ تعلم، من الناس من يترك نفسه دون تعلم ويقول: أنا علىٰ الفطرة، أو من في البيت علىٰ الفطرة، وأعظم ما تتركه في بيتك؛ بل أعظم

ما تتركه لنفسك وتجعل نفسك متعلقة به أن يكون القلب دائما في سلامة من أن يكون فيه غير الله جلا وعلا، وذلك بتحقيق الإخلاص والبعد عن الشرك، وهذا يحتاج إلىٰ تعلم.

لهذا لابد من أن للعبد نظر مع نفسه جاء في هل حصّل هذه المرتبة من التقوىٰ أم لم يحصلها، لأن التوحيد له فروع كثيرة، ولأن الشرك له فروع كثيرة، ومن أنواع الشرك ما ينافي كمال التوحيد، ومنه ما ينافي أصل التوحيد، ومن الناس من يغشىٰ بعض الذنوب المتعلقة بالتوحيد والشرك يعني منافيا لكمال التوحيد أو هي التي من شرك الألفاظ أو من الشرك الأصغر دون أن يشعر.

والمرتبة الثانية من مراتب التقوىٰ هي تقوىٰ الله جل وعلا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ يعني أن تأتي كل أمر مما أمر الله جلا وعلا به، وأن تنتهي عن كل نهي نهىٰ الله جلا وعلا عنه.

كما قال طلق بن حبيب في تعريف التقوىٰ: أن تطيع الله عن نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخشىٰ عقاب الله.

وكل أمر يحصّل التقوىٰ ويزيد وكل أمر تمتثله من أوامر الله يزيد في التقوىٰ في قلبك ويعظم الرغب فيما عند الله جلا وعلا.

والمرتبة الثالثة من مراتب التقوىٰ هي التي ربما لم يحصل عليه إلا الخاصة من الناس وهي أن يترك ما لا بأس حذرا مما به بأس، يترك بعض الأشياء التي يشك فيها خشية أن يواقع المحذور، وهذه قد جاءت في بعض الأحاديث كما في قوله: «**لا يبلغ العبد حقيقة التقوىٰ حتىٰ يدع ما لا بأس به حذرا مما فيه بأس**» وهذا يكون بترك المشتبهات، وهناك مشتبهات متعلقة بالنظر، هناك مشتبهات متعلقة بالكسب، هناك مشتبهات متعلقة بأداء العمل، هناك مشتبهات متعلقة بأنواع العبد مع من حوله، فمن ترك تلك المشتبهات وابتعد عتها كان بعيدا عن الحرام وكان قريبا من امتثال أمر الله جل جلاله.

هذه هي الوصية الأولىٰ الوصية بتقوىٰ الله جل جلاله.

[الوصية الثانية: التفكر في آلاء الله]

أما الوصية الثانية فهي أن لا يترك العبد نفسه من التفكر في آلاء الله جل وعلا، وسكان المدن الذين يسكنون في المدن يفوتهم شيء عظيم ألا وهو التفكر في آلاء الله، التفكر في ملكوت الله جل جلاله.

والله جل وعلا أمر عباده بأن يتفكروا في الملكوت، والتفكر في الملكوت يورث معرفة الله جل وعلا، ويورث معرفة ربوبيته جل وعلا، وإذا أثمر ذلك الربوبية في قلب العبد وفي عقله وفي لُبِّه، فإن الربوبية تقود إلىٰ عبادة الله جل وعلا حق عبادته.

قال سبحانه آمرا بالتفكر: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾[سبأ:٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[يونس:١٠١] أهل المدن ينظرون إلىٰ السماء وليست هي السماء، وينظرون إلىٰ الأرض وليست هي الأرض، وينظرون إلىٰ النبات وهو ينمو وليس في عينهم نبات ينمو، ينظرون إلىٰ ما يحصل حولهم ولكن يفوتهم التفكر والتدبر، فإذا حصّل العبد

هذا الأمر ألا وهو امتثال أمر الله بالتفكر في آلاء الله فإنه يحصل له أنواع من الإيمان واليقين ومعرفة الله جل وعلا لا يدركها إلا من تدبَّر وتأمل.

نقول: إن توحيد الربوبية مما لم يبتل به الناس، فإن توحيد الربوبية يعني الإقرار بأن الله جل وعلا هو الواحد في خلقه، هو الخالق وحده وهو الرازق وحده وهو المميت وحده وهو المعين وحده إلىٰ آخر أفراد توحيد الربوبية، هذا مما لم يبتل به الناس، وهذا صحيح فإن ابتلاء الناس إنما هو بعبادة الله وحده لا شريك له.

لكن ليس معنىٰ ذلك أن يترك العبد التفكر في أفراد الربوبية، فإن التفكر في أفراد الربوبية أمر محتم واجب من الواجبات الشرعية؛ لأن الله جل وعلا أمر به، كم من آية في القرآن وكم من حديث في السنة فيه وصف آلاء الله جل وعلا، وفيه وصف ما في ملكوت الله جل جلاله.

فتأمل وانظر في هذا الملكوت تأمل الأرض كيف هيه، وقد أجمع العلماء علىٰ أنها كرة في السماء معلقة بلا عمد، وتأمل الشمس كيف تجيء وتذهب، وكيف يحصل هذا ويحصل هذا من الذي فعل ذلك، وكيف خلقت الأرض علىٰ هذا النحو وكيف علقت السماء علىٰ ذلك النحو ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾[الرعد:٢]، وقال في الآية الأخرىٰ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾[لقمان:١٠]، السّموات والأرض عبرة للمعتبرين لكن من يعتبر؟ إنما يعتبر أولوا الألباب، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾[آل عمران]، فأولوا الألباب هم الذي يستخرجون الآيات من السَّمٰوات والأرض، فلو كان المرء يجعل لنفسه بعض الوقت في أنه يخرج خارج المدينة لينظر في ملكوت الله جل جلاله، ينظر ويعتبر، كيف يخرج هذا النبات من هذه الأرض، ينظر في التراب فلا ترىٰ فيه بذرة، فإذا أنزل الله جل وعلا عليه الماء اهتزت الأرض وربت ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾[فصلت:٣٩]، وهذا أحد أفراد خلق الله جل وعلا.

تتأمل في السماء، تتأمل في الأرض، تتأمل في نفسك، تتأمل فيمن حولك، فهذا التأمل، وهذا التفكير ينتج لك أنه ولا شك أن الذي خلق هذا الخلق وصوّره أنه هو الله جل وعلا، وإذا كان كذلك فإن هذا القرآن الذي أنزله الله جل وعلا علىٰ رسوله حق وهو كلام الله، وأن نبيه ﷺ إنما هو رسول من عند الله حق، فيثمر لك ذلك بيقين أنه يجب أن تطيع، وأن لا تترد في طاعة، فليس المجال مجال شك، وأن الخلق لابد سائرون إلىٰ الله جل وعلا، وتأمل هذا الخلق وأن إعادة الخلق علىٰ الله جل وعلا أهون، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾[الروم:٢٧]، فإعادة الخلق أهون من ابتدائه، وخلق السَّمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس كما قال جل وعلا: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾[غافر:٥٧]، فإذا تأمّل العبد ذلك ولم يكن فيما ينظر في الملكوت وفيما ينظر من خلق الله يكن إمعة بنظر نظرة غبي بليد؛ بل ينظر نظر ذكي، ينظر ويتأمل في هذا الذي حوله، لم خلق؟ ولماذا جاء الناس؟ ومن الذي صنع هذا؟ هل يعقل أن يكون هذا المسجد جاء من عند نفسه وتركب هذا

التركيب؟ ليس كذلك إنما لابد أن يكون له من عمله، فخلق الله جل وعلا وملكوته أعظم وأعظم، فيخرج العبد من هذه الوصية بأنه ولا بد من إيقانه من أن الله جل وعلا هو ذو الربوبية على خلقه وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه.

فإذا أقرّ ذلك في القلب عظم ذلك في القلب، عظم في القلب تفويض الأمر إلى الله جل جلاله؛ لأنه يرى هذه الأرض على عِظَمها عند أهلها أنها صغيرة عند الله جل وعلا، فإن السَّمٰوات وإن الأرض تُطوى يوم القيامة فتكون في كف الرَّحمٰن جل وعلا، قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء:١٠٤] وفي القراءة الأخرى: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾، فهذا أمر عجيب، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[الزمر:٦٧]، وهذه السَّمٰوات التي فوقنا سماء تلوى سماء وبين السماء والسماء كل ذلك خمسمائة عام؛ يعني كِثَف كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وهكذا حتى تنتهي السبع سماوات، ثم يكون كرسي الرَّحمٰن جل وعلا، ثم عرش الرَّحمٰن جل وعلا.

واليوم الناظرون بهذه المراصد الجديدة إلى هذه الأجهزة العجيبة توصَّلوا إلى مسافات عظيمة فيما رأوه من الأفلاك؛ لكن قالوا: ثَم شيء في هذا الملكوت، ثَم شيء في هذا الفلك لم نصل إليه ولم تدركه هذه الأجهزة على عِظمها، فخلق الله عجيب ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾[غافر:٥٧]، ومن يتدبر؟ إنما هم أولوا الألباب، لهذا في آية البقرة قال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ قال في آخرها إن في ذلك ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة]، وقال في آية آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران]، فمن الذي يتفكر؟ من الذي يستفيد؟ هو ذو اللب وذو العقل، وهذا مما فوّته الأكثرون على أنفسهم، فوّتوا التدبر في أنفسهم، فوتوا التدبر فيما حولهم، فوتوا التفكر الذي ينتج حتما أن الله جل جلاله هو الذي خلق وهو الذي صنع وهو الذي برأ، وإذا كان كذلك فالمصير ولا شك إليه، هو ﷻ هو الذي ابتدأ الخلق وهو الذي يعيده والناس صائرون إليه، ويوم القيامة آت لا محالة لا ريب فيه، فيورث ذلك العبد صحة في قلبه وصحة في عمله وصحة في اتباعه حتى لا يكون في قلبه شك فيما أخبر الله جل وعلا به ولا فيما جاء به نبينا ﷺ.

[الوصية الثالثة: انشراح الصدر بالإسلام]

الوصية الثالثة: أن الصدر له أحوال جاءت هذه الأحوال في الكتاب والسنة ومرتكزها على حاليين:

الحال الأولى: أن تكون الصدر منشرحا للباطل، قال جل وعلا: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ [النحل:١٠٦]، قال العلماء: انشراح الصدر بالباطل وسيلة إلى عمله وإلى الاقتراب منه وإلى الوقوع فيه.

وكذلك يقابله انشراح الصدر بالحق فإنه وسيلة وطريقة إلى أن يقبل العبد على هذا الحق وعلى أن يأتيه، قال جل وعلا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[الزمر:٢٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

ﱡﭐ ٱلسَّمَآءِ ﱠ[الأنعام:١٢٥]، وقال جل وعلا في فاتحة سورة الأعراف: ﱡﭐ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﱠ.

فهذا الصدر إنما بكون منشرحا للحق، وإما أن يكون منشرحا للباطل، والباطل أنواع، والحق أيضا أنواع؛ ولكن جِماع الحق هو ما جاء في الكتاب والسنة، جِماع الحق هو دين الإسلام، والباطل شعب كثيرة ووسائله كثيرة، فمن شرح صدرا بنوع من أنواع الباطل فإنه وسيلة إلىٰ أن يخسر ويخسر حتىٰ يكون هذا الصدر قد حوىٰ الباطل، ثم تواقع الباطل القلوب والجوارح.

لهذا كان من اللوازم علىٰ العبد أن يكون متأمِّلا في هذه الآية في قوله جل وعلا: ﱡﭐ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﱠ[النحل:١٠٦]، وفي قوله: ﱡﭐ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﱠ[الأعراف:٢]، وذلك أنّ انشراح الصدر بالحق وسيلة إلىٰ مواقعته وأن انشراح الصدر بالباطل وسيلة إلىٰ مواقعته.

بم يكون انشراح الصدر بالباطل؟ وبم يكون انشراح الصدر في الحق؟ إن أنواع الباطل كثيرة.

فخذ من أنواع الباطل انشراح الصدر لعدم تعظيم الرب جل جلاله، أحيانا يأتي من يأتي ويكون يحظر بعض المجالس التي فيها عدم توقير لله جل جلاله؛ يعني إذا ذكرت الآيات فلا تجد في قلوبهم وجل ولا خوف ولا تعظيم للمتكلم بهذه الآيات، وإذا ذكر حديث الرسول ﷺ عارضوه بآرائهم وبعقولهم، فينشرح معهم ويضحك كما يضحكون ويستأنس كما يستأنسون، وهذا نوع من انشراح الصدر بالباطل، والواجب علىٰ العبد أن يكون قلبه منشرحا للحق، وإذا أتاه نوع من أنواع الباطل فيكون في القلب بُغض لذلك يكون للصدر بعد عنه وكراهية لذلك الشيء.

لهذا انشراح الصدر بالباطل يأتي بالباطل حتىٰ يغشاه العبد.

خذ مثلا الغيبة كلنا يعلم أن الغيبة حرام، وهي كبيرة من الكبائر، فلا يزال العبد يتساهل بها حتىٰ يكون حديثه غيبة، ينشرح صدره لهذا النوع من أنواع الباطل حتىٰ يعاقب بأن لا ينفك عنه.

خذ مثلا فضول النظر، النظر إلىٰ النساء، وعدم غض البصر عنهن، فلا يزال ينظر وينظر ويستهل يذلك حتىٰ ينشرح صدره إلىٰ ذلك، فيرىٰ أنه ليس ثَم شيء في النظر إلىٰ ذلك فيغشىٰ أنواعا من الباطل بانشراح الصدر لذلك الباطل.

كذلك خذ فضول الكلام فضول اللسان، فإن الصدر والقلب ينشرحان لهذا النوع من الباطل بأن يدخل في كلام لا يسوغ، كلام فيه تعدي، فيه نيل من الأعراض، أو قول فيه مقالة سوء وظن سوء إلىٰ آخره مما نهىٰ الله جل وعلا عنه من موبقات اللسان ومن آفات اللسان، فينشرح صدر العبد بذلك حتىٰ يكون همه ذلك.

خذ مثلا أيضا من فضول المقال ما يكون من البعض من أنه يأتي عنده أصحاب وإن كانوا أصحاب خير وهدىٰ، فيدخلون في كلام يعلم هو أنه لا يجوز لكم رعاية لصحبتهم يدخل معهم في ذلك المقال، إما فيه نيل من أهل العلم، أو فيه نيل من المسلمين، أو فيه ظن سوء أو فيه اتباع لغير سبيل المؤمنين من

البدع والمحدثات، ونحو ذلك، فيظل يجامل -كما يقال- ويجامل و يجامل حتىٰ ينشرح صدره بالباطل.

والواجب علىٰ العبد أن يسعىٰ ألا ينشرح صدره بالباطل، وكيف ينشرح الصدر بالباطل؟ بأن يتساهل شيئا فشيئا، فإذا تساهل أقدم.

كذلك في المقابل في الجهة الأخرىٰ انشراح الصدر بالحق، قال جل وعلا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ ﴾[الزمر:٢٢]، إنّ انشراح الصدر بالإسلام بأوامر الإسلام يكون أوّل الدرجات منه بقبوله وبمحبته حتىٰ ولو لم يعمله العبد، فإنّ العباد قد لا يعملون بكل ما أُمروا به؛ لكن الواجب عليهم أن تنشرح صدورهم للحق، تنشرح صدورهم لأمر الله جل وعلا؛ فإنّ هذا يُعقبهم خيرا، وإن العبد يهم بالحسنة فلا يعملها فتكتب له حسنة، وهذا من رحمة الله جل وعلا بالعبد؛ لكن انشراح الصدر بالحق انشراح الصدر بأنواع الهدىٰ بأمور الإسلام، هذا يسبّب لك أنواع من القرب للخير، فأمور الإسلام وشعب الإسلام كثيرة متنوعة، فإذا شرح الله صدرك للإسلام، فإنك تقبل علىٰ روضات وجنات، قال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[الأنعام:١٢٥].

إذن فانشراح الصدر بالباطل هذا وسيلة إلىٰ غشيان الباطل، فالواجب علىٰ العبد أن يحاسب نفسه وأن لا يجد من نفسه انشراحا لنوع من أنواع الباطل، وإنه لو تساهل فإنه يكون هو الذي جنىٰ علىٰ نفسه.

كذلك إذا رأىٰ العبد نوعا من أنواع الخير فأول الدرجات أن ينشرح صدره لذلك الخير لما جاء من أمر الله وأمر رسوله ﷺ، ويحب ذلك ويحب من عمل به حتىٰ ولو لم يعمل به، فإن انشراح الصدر بذلك وعدم حرج الصدر مما أنزل الله جل وعلا فإنه نوع من أنواع العبادة وسبب من أسباب الهدىٰ والفلاح.

[الوصية الرابعة: الجدّ وترك التسويف والأماني]

الوصية الرابعة: وصية بالجد وترك التسويف ترك الأماني.

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ إن مفسدات القلوب خمسة:

- [كثرة] المخالطة.
- والأماني.
- وفضول الكلام.
- والشِّبَع.
- و[كثرة] النوم.

أصول مفسدات القلب خمسة كثرة المخالطة، والأماني وفضول الكلام والشبع يعني دائما وكثرة النوم، وهذا الذي قاله صحيح وقد شرحه وبينه.

يهمنا منهما اثنتان:

الأولىٰ منها الأماني وهي التسويف، ووصيتنا هذه يترك التسويف وترك الأماني، وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنىٰ علىٰ الله الأماني**» والأماني بحر واسع لا ساحل له.

من الناس من يتمنىٰ، خذ مثلا من الشباب من يتمنىٰ أن يكون طالب علم، يتمنىٰ أن يكون فاهما للعلم؛ لكن متىٰ تبدئ بجد؟ يقول: سأبتدئ، متىٰ؟ بعد الاختيارات، منهم من إذا أتت العطلة قال: أول العطلة ننشغل بها، ثم بعد ذلك في منتصفها، في آخرها إلىٰ آخر ذلك، يعلل النفس بالآمال، يعلل النفس بأنه سيعمل ويعمل، وينقضي العمر وتنقضي زهرة العمر وهو الشباب ولا يحصل شيئا.

السبب أنه أفسد إرادته بالأماني الباطلة، من اقتنع شيء فليغشه فورا، إذا اقتنعت بأنك تريد أن تكون طالب علم فلتبدأ فورا.

بعض الناس يريد أن يكون مطيعا يعلم أنه علىٰ معصية وعلىٰ ذنب أو مفرطا بواجب من واجبات الله، متىٰ تتوب متىٰ تنيب؟ يقول: أنتظر شهر شهرين حتىٰ أنتهي، ثم بعد ذلك أصحّح العمل، أصحح الطريق، أنظر إلىٰ نفسي وأحاسبها محاسبة جازمة، نوع من الأماني وهي من مفسدات القلوب.

التسويف (سوف) هذه من أعظم الأسلحة التي تفتك بالناس، من الناس من يعلم أن أهل بيته بحاجة إلىٰ توجيهه، بحاجة إلىٰ إصلاحه، بحاجة إلىٰ النظر في أحوالهم؛ ولكن متىٰ يبتدئ يقول: الآن عندي مهمات وعندي كذا وكذا، إذا ابتدأت العطلة كما نسمعها كثيرا سأسافر معهم وسأبدأ في نصحهم وسأضع لهم درسا وأوجه، وأبدأ معهم في السيرة، أو أبدأ معهم في دراسة لبعض كلمات السلف الصالح، أو في جلسات مختصرة مع الأهل أو الأولاد أو الإخوان إلىٰ غير ذلك، فيمتد به الزمن ويأتي الشاغل تلو الشاغل وهو في أماني، لا حصّل ما يريد ولا هو انتبه إلىٰ غلطه مع نفسه.

كذلك في باب الأماني، أماني الخير، أماني الإصلاح، أماني هداية الناس إلىٰ الحق والهدىٰ، علىٰ مستوىٰ المجتمع، أو علىٰ مستوىٰ الأمة.

من الناس من يقول سواء كانوا أفرادا أو مجموعات أو جماعات: سنعمل، سنعمل وتمضي السنون ولا يعمل شيئا، أو ربما عملوا شيئا غير محمود، فيصححون ويقتنعون أن هذا الذي هم عليه ليس بجيد أو أن غيره أفضل منه أو أنه خطأ، فيتمنون الأماني في الإصلاح وهم ماكثون علىٰ شهواتهم أو ماكثون علىٰ انقضاء أوقاتهم في غير الجد.

إذا اقتنعوا بهذا الشيء فالواجب أن يبادروا فالشباب وعمر الشباب هذا فرصة لا تعوّض فقد قال التهامي رَحِمَهُ اللَّهُ في مرثيته لولده التي مطلعها:

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بأرض قرار

يرىٰ الإنسان فيها مخبرا حتىٰ يرىٰ خبرا من الأخبار

قال بعد ذلك:

ومكلف الأيام ضد طباعها ومتطلب في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء علىٰ شفير هار

إلىٰ أن قال:

وتراكضوا خيل الشباب فإنما أعماركم سفر من الأسفار

لا بد من الجد، الأماني لا بد أن تتحول إلىٰ واقع، منضبطة بضابط الشرع، فإذا كان ثم أماني في الخير والإصلاح علىٰ مستوىٰ صغير أو علىٰ مستوىٰ كبير فلا بد من البدار، البدار، البدار، والمرء يعادل الفترة التي يمكنه فيها أن يعمل شيئا خيرا يعاجلها قبل أن يأتي فترة لا يستطيع فيها أن يعمل شيئا، وهذا مما يجب أن يُتدارك ولا تترك الأعمار تمضي وأن تترك الأوقات تمضي دون نظر.

إذا نظرت في أحوال البيوت، إذا نظرت في أحوال المجتمع وجدت أنواعا من الفساد، أنواعا من المخالفات، أنواعا من التفريط في الأوامر هدىٰ الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وكل في بيته، من طلبة العلم أو أمام مسجد أو مؤذن مسجد، كل نريد أن نقوم بكذا ونريد أن نقوم بكذا، وتمضي الأيام والسنون وهم في أماني، وإذا عملوا شيئا فأنه ليس بعمل جاد، هو مقتنع أن العمل الذي عمله ليس بعمل جاد، تنتظر إلىٰ متىٰ؟

هذه الأماني يجب أن تزال وأن تحول إلىٰ حقيقة، أن يحول لأمنية الخير إلىٰ حقيقة وإلىٰ واقع يبدأ المرء في تنفيذه؛ لأنك لا تدري إلىٰ كم تعيش، وإلىٰ متىٰ تعيش إلىٰ أن تبلغ ما أمر الله جل وعلا بتبليغه، وأمر به الرسول ﷺ أم لا؟

إن الاجتهاد في الدعوة يجب أن يكون علىٰ الفور، والدعوة لا تكون إلا بتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فأصل الدعوة بالتعاون، ومن الناس -كما قد سمعتُ وعُرِض علي شيء من ذلك- من الناس من يقول: نريد أن نعمل، ونريد أن نكوّن مجموعة تدعو إلىٰ الخير، ونكون مجموعة يتعاونون علىٰ مستوىٰ حارتهم أو علىٰ مستوىٰ قرينهم أو إلىٰ آخره، وتمضي الأيام وهم في أماني لم يحصلوا شيئا، لا بد من التسابق مع الزمن، لا بد أن تسعىٰ وأن تبتدر نفسك، وأن تبتدئ بمن حولك وأن تسعىٰ في الإصلاح والخير، وألا تتمنىٰ علىٰ الله الأماني فالأماني مضرة.

ولهذا نقول: إن من رام شيئا من أمور الخير والصلاح فليبادر به قبل أن يفوت الوقت.

إذا نظرت الآن إلىٰ الأحوال وجدت عندنا من المنكرات ومن المفاسد ما يزيد كل سنة بسنة، كل سنة يزيد من انحراف الناس عن الحق والهدىٰ ومن غشيان الباطل للقلوب وإقبالهم علىٰ الشهوة؛ خاصة شهوة المال والنساء أقبل الناس عليها دون حد، وهذا لا بد له من إصلاح يجابه ذلك به ذلك لكن مقيد

بـالضوابط الشرعية، العباد لو عملـوا لأدركـوا، فقـد كـان بعـض الأدبـاء كتـب كتابـة في وسـيلة مـن وسـائل الإصلاح، وبحسب نظره قال لما عرض واقع يعيشه وقال: عُدِم الرجال أو لـم يـنهض الرجـال بـواجبهم، هل عُدِم الرجال؛ فلم يجد أحدا يقوم بواجبه الذي جعله الله جل وعلا علىٰ هـذه الأمـة؟ أم أنـه ثـم رجـال لكن يتمنون الأماني؟ لا شك أنه أول درجات معرفة الواجـب أن يـتخلص المـرء مـن الأمـاني، وأن يسـعىٰ جهـده في أن يجعـل يومـه وليلتـه في الخيـر والهـدىٰ والصـلاح؛ لأن هـذا الأمـر الـذي تـرون مـن انتشـار الموبقات والمنكرات وأنواع المفاسد وأنواع المفاسد، لا بد له من إنكـار، لابـد لـه مـن تعـاون علـىٰ الـبر والتقوىٰ لتقليله أو إزالته.

الوصية الخامسة: الإقلال من الخِلطة

الإقلال من الخِلطة أو الخُلطة كما نصح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن من مفسدات القلب الإكثار من الخُلطة.
قال والخُلطة نوعان:

- نوع منها يفسد القلب.
- ونوع منها يصلح القلب.

فأما التي تفسد القلب فهي أن يسعىٰ في مخالطة الناس والكلام معهـم في فضـول المباحـات، أو أحيانـا بالمشتبهات أو بالمحرمات؛ يعني يحب أن يكثر الاختلاط، يحب أن يكثر معارفه، يحب أن يتعرف علـىٰ هذا وهذا، ويأتي مجلس هذا وينتقل من مجلس هـذا إلـىٰ ذاك، ويتعـرف علـىٰ عشـرة وعشـرين وثلاثـين، وهذه الكثرة في التعارف هي سبب لأن تتأثر بما عند أولئك؛ لأن كل إنسان فيه خير وفيه شر، فإذا كان مـن يخالطه العبد عنده بعض الشرور فإنه مع كثرة الاختلاط لا بـد أن يأخـذ مـن هـذا وهـذا، وربمـا اجتمعـت عليه، وهذه خلطة مذمومة.

والقلـب المتعلـق بـالله جـل جلالـه لا يـأنس بـالخلق كثيـرا إلا إذا كـان في تـوجيهم وفي إرشـادهم وفي التعامل معهم علىٰ البر والتقوىٰ، أمـا هـو فيكـون مشـغولا بربـه جـل وعـلا عمـا سـواه وفي الله جـل جلالـه شغل عما سواه.

فكثرة المخالطة سبب من أسباب فساد القلب، إذا كانت المخالطة بحسب ما اتفق.

القسم الثاني من أنواع المخالطة: أما إذا كان العبد يخالط رغبة في الخير، إذا حضر مكانـا وتعـرف علـىٰ أحد، فإنما يتعرف ويخالط لأجل تحصيل الخير ولأجل دفع الشر، فهذا مخالطته محمودة، وفيهـا صـلاح لقلبه، وقد تحضر مجلسا أو مجالسا فتخجل من أن تجعل ذلك المجلس مجلـس خيـر وهـدىٰ، فتخـالط وربما شاع في ذلك المجلس ما هو من فضـول المباحـات، أو ربمـا مـن الكلمـات التـي ضـررها أكثـر مـن نفعها، أو ما هو من المحرمات، فلا بد أن يكون الراغب في صلاح قلبه وفي صلاح الآخرين أن يأخذ بهـذه

الوصية التي أوصىٰ بها ابن القيم في أن يكون المرء مِقداما في الخير؛ يعني إذا حضر مجلسا فليبدئ الكلام.

إذا نظرت إلىٰ المجالس، ربما تحضر مثلا في وليمة في عزيمة، تحضر في لقاء مع أناس إلىٰ آخره، تلحظ أن الناس يبدؤون ويتكلمون في موضوع، ثم تمضي مدة وهم يتكلمون في ذلك الموضوع، فإذا ابتدأت أنت الكلام في موضوع ما، فإنه غالبا ما ينشغل الناس بتحليلات ذلك الموضوع مدة من الزمن يكون فيها الخير وفيها التوجيه والدعوة والصلاح.

فإذن الذي يجب علىٰ الذي يسعىٰ في صلاح نفسه وفي صلاح غيره أن يكون مقداما في الخير، يأتيه الشيطان -كما قال ابن القيم- في بأحبولته التي قليل من ينجو منها فيقول: إذا تحدثت أو إذا قلت فإنك تريد الشهرة أو تريد أن تذكر أو تريد أن تصرف وجوه الناس إليك أو نحو ذلك. قال: فإذا أتىٰ بهذه الأحبولة فتعوّذ بالله جل وعلا منه، وتوكّل علىٰ الله جل جلاله، واجعل مخالطتك ومجالسك في خير وهدىٰ وإرشاد الخلق إلىٰ ما يجب عليهم أو إلىٰ ما ينبغي أو ما يجب أن يحذروه.

إذن المخالطة هذه يجب أن تصنّف نفسك معها إلىٰ أي درجة تخالط، وما هي مخالطاتك، بعض الناس يعرف مائة مائتين، ما شاء الله، وبعضهم يعرف أكثر أو أقل، ويظن أن كثرة المعارف هذه وكثرة إتيان هذا وهذا وهذا أنها أصلح للقلب، ليست كذلك، فصلاح القلب بقلة المخالطة، إلا ما كان من مخالطة في أمر بمعروف ونهي عن منكر أو في علم أو دعوة أو خير أو فلاح، فهذه المخالطة محمودة، وإذا أقلّ العبد المخالطة أنس بربه عز وجل، أنس بالقرآن، اشتاق لله جل وعلا، اشتاق لكتابه، إذا صلىٰ فإنه يكون للصلاة في حقه معنىٰ فإنه يناجي ويحس أنه لن يكون مسرعا في طلب مخالطة للخلق وهو منشغل بمناجاة الله جل وعلا عن مناجاة أو مناداة الخلق ومخالطتهم.

تلحظ من نفسك أن الذي يكثر المخالطة ويكثر الحديث مع الناس حتىٰ علىٰ أبواب المساجد قبل الإقامة أنه إذا دخل الصلاة لا يدخلها بقلب خاشع، لا يدخلها بقلب قد ظهر عليه -بتقييمه لنفسه- لذة مناجاة خالقه جل وعلا؛ وذلك لأن كثرة الخلط تقتضي كثرة سماع كلامهم، وكثرة السماع تشغل القلب وتشغل العقل إلا ما كان في حق وهدىٰ.

إذن فالمخالطة يجب أن توزن بميزان، وأن تنتبه لها، في نفسك، كذلك في من تعول، كذلك فيمن حولك، كذلك فيمن توجّه، أخ لك أو صديق أو ابن أو بنت إلىٰ آخر أصناف الناس يأتي ويخالط هذا ويخالط الثاني والثالث، كم له من أصحاب؟ أو كم لها من الصاحبات؟ تجد أن لها عددا وأن له عددا، وهذا لا شك أنه يحدث أنواع من المفاسد، فالمربي كما أنه يربي نفسه علىٰ قلة الخلطة والاختلاط إلا فيما ينفع، كذلك ينبغي له أن يكون في تربيته لمن حوله إذا كان لا بد أن يخالطوا فأن تكون مخالطتهم وأن تكون أصدقاؤهم عددا محدودا، وهذا من الأمور التي ينبغي أن ينتبه لها المربّون خاصة في البيوت وأولياء البيوت.

[الوصية السادسة: تقديم حب الله ﷻ ورسوله ﷺ عما سواهما]

الوصية التي تليها وصية عامة وخاصة، هي عامة لجميع الناس وخاصة لخاصة الناس، ألا وهي أن يكون الله جل جلاله ورسوله ﷺ أحب للمرء مما سواهما، وهذه من أسباب تحصيل لذة الإيمان للقلب «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» إذا كان الله جل جلاله ورسوله ﷺ أحب للعبد من كل ما سواهما؛ من نفسك، من أهلك، من الدنيا، من المال، من الشهوات، فإن هذا يثمر تعلقا للعبد بالآخرة، وامتثالا في هذه الدنيا لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ، ويثمر ترك الأهواء والشبهات والشهوات؛ لأن العبد إذا كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإنه يسعىٰ إلىٰ أن تكون هذه المحبة صحيحة، وهذه المحبة إنما تكون صحيحة بأن يتعرّف العبد علىٰ ما جاء في القرآن وما جاء في السنة، فإذا علمه وتعرّف إليه عمل به.

ولشيخ الإسلام رحمه الله كتاب عظيم اسمه «قاعدة في المحبة» وبنىٰ هذا الكتاب علىٰ هذا الحديث، وقال فيه يعني قاعدة الكتاب: أن المحبة هي المحركة، فمحبة صاحب الدنيا للدنيا هي التي حركته لهذه الدنيا.

إذا أحب المال تحرك، قام آخر الليل لأجل أن يذهب إلىٰ المكان الفلاني في الوقت الفلاني.

محبة بعض الرجال للنساء وللشهوات تجعله يتحرك في ذلك ولو بذل وقتا ومالا إلىٰ آخره.

محبة أهل الطاعة للطاعة جعلتهم يتحركون للطاعة.

محبة أهل الإصلاح للصلاح جعلتهم يتحركون في الإصلاح.

إذا كان الله ورسوله أحب للعبد مما سواهما فإنه ينتج من ذلك أن تكون حركة العبد وتحرك العبد لله جل جلاله وفي أمر رسوله ﷺ، وليس للخلق ولا لأحد؛ لأن المحبة هي التي تولّد الحركة هذا أصل وقاعدة ولها تفريعات.

من تفريعاتها أن محبة الله جل جلاله ومحبة رسوله ﷺ تقضي أن يكون العبد محكّما لكلام الله وكلام رسوله ﷺ علىٰ نفسه دون غلبةٍ للهوىٰ؛ لأن المحبة كلما زادت كلما تخلص العبد من الهوىٰ، والهوىٰ مركب كما قال بعض الأدباء مركب يلذ للقاصر الغريق، هو مركب يلذ للقاصر الذي لا يعرف العاقبة ولكن النهاية يغرق في هذا المركب.

الهوىٰ هو أحد أعظم الأسباب التي تصرف عن محبة الله ورسوله، إذن فثم أصل ونتيجة:

الأصل: محبة الله جل وعلا ورسوله ﷺ . ونتيجة هذه المحبة ترك الهوىٰ.

فمن كان عنده بعض الهوىٰ إما في الشبهات أو في الشهوات، فينتج من ذلك التعقيد أن محبته لله جل وعلا ولرسوله ﷺ محبة ناقصة، وقد قال جل وعلا: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾[آل عمران:٣١]، قال بعض السلف: ليس الشأن أن تُحِب -يعني أن تحب الله- ولكن الشأن أن تُحَب، فإذا كان العبد في هذا الأصل ألا وهو محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله فإنه ينتج عنه ترك الهوىٰ، والهوىٰ لا بد منه أن يذكر بعض مظاهره؛ لأن تعظيم المحبة سببه ترك الهوىٰ.

ومن مظاهر تحكيم الهوىٰ أن يعطل المرء طاعة الله جل وعلا وطاعة رسول الله ﷺ في بعض النصوص لما ألفه أو لما تعلمه أو لما نشأ عليه.

والهوىٰ قد يكون سببه الإلف، يكون ألف شيئا حتىٰ يكون صار هوىٰ له ورغبة، وحتىٰ يظن أنه الحق، وقد يكون نشأ علىٰ شيء، وهذا الذي نشأ عليه غلب علىٰ عقله وغلب علىٰ لبّه حتىٰ صار هوىٰ له، ويكون الحق في غيره، المرء لأجل محبته لله جل وعلا ولرسوله ﷺ يجب عليه أن يُخَلِّص نفسه من أن يكون له هوىٰ في شيء، إلا فيما جاء به المصطفىٰ ﷺ، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به**».

النشأة -كما ذكرتُ، هذه قد تكون ألصق بالشباب- لها أثر في أن يكون المرء صاحب هوىٰ، قد ينشأ علىٰ قول يظنه حقا ويعتمد ذلك القول ويدافع عنه ولا ينظر إلىٰ النصوص التي ربما دلت علىٰ خلاف ذلك القول، إذا دلت النصوص علىٰ ما نشأ عليه الحمد لله، هذا توفيق، وإذا دلت علىٰ خلافه فإن محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله وإن كون الله جل وعلا وكون رسوله أحب إلىٰ العبد مما سواهما يقتضي أن يترك الهوىٰ، وأن يسعىٰ في تلقي العلم وتلقي ما يعتقد، وتلقي ما يعمل به علىٰ ما دلت به النصوص.

قال بعض أهل العلم: إن للتربية وللعلم أثرا في الطباع كما أن لرضاعة الصغير أثرا في الطباع، الصغير إذا أرضعته من عندها صفات مذمومة ربما أتت هذه الصفات، يأتي بها الرضاع.

ولهذا جاء عن بعض السلف أنه قال: إن الرضاعة نسبة فلا تسقي من يهودية ولا نصرانية.

وقد كان بعض العلماء خطيبا فحلا يؤثر في الناس، وكان مهتما برضاع أحد أولاده، حتىٰ إنه حرج امرأته في أن يرضع ذلك الولد إلا هي أو إلا من يعلم، فحصل مرة أنه أتت ذلك البيت امرأة وكانت تُرضع وأرضعت ذلك رضعات في غيبة من الوالد، حتىٰ رضع رضعات متعددة، شبّ ذلك وصار من العلماء فكان إذا تكلم ربما أدركته حُبْسة وهو يتكلم وليس علىٰ شأن أبيه، وكما تعلمون أن اللبن منسوب إلىٰ الوالد، فيقال له كيف أدركتك تلك الحبسة وأنت ابن فلان فقال هذا من آثار الرضعة الأولىٰ.

فالرضعة مؤثرة ولاشك والرضاع مؤثر.

وكذلك رضاع الآراء، رضاع الأفكار، فإن الذي يقبل علىٰ الخير ويقبل علىٰ الاستقامة يرضع من الخير والهدىٰ بحسب من يخالطه، فإذا أدرك بعد ذلك زمن واستقام وأقبل علىٰ الله جل وعلا صار لا يحتاج في الغالب إلىٰ موجه، يجب عليه بعد ذلك أن يتأمل نفسه في هذا الأمر، وهو تخليصها من الهوىٰ؛ لأنه ما استقام ولا رغب إلا رغبة في أن يكون الله جل وعلا ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، وسبيل ذلك أن يترك الهوىٰ إلا في طاعة الرسول ﷺ.

وهذه مسألة مهمة ينبغي أن تتدارسوها، وهي أن المرء في أول إقباله يعلق بذهنه أشياء وبقلبه أشياء قد لا يستطيع التخلص منها، إلا إذا حزم علىٰ نفسه وخلّص نفسه من الهوىٰ وأقبل علىٰ تحكيم العلم

وتحكيم الكتاب والسنة، وهذا ولاشك يتطلب من المرء جهدا ويتطلب من المرء حسن توكل من الله جل جلاله وفي ذلك أعظم الأثر أعني عظم التوكل علىٰ الله جل جلاله.

هذه مجموعة من الوصايا اقتضاها الخاطر المستعجل، ولعل فيها كفاية ونجعل بقية الوقت للأسئلة.

هذا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (١): ذكرتم حفظكم الله الحديث الذي روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به**» فضيلة الشيخ ما صحة هٰذا الحديث هل هو صحيح، حيث سمعت أنه ضعيف؟ وما الراجح في الاحتجاج بالضعيف في غير الأحكام والعقائد من الوعظ وغيرها، وفقكم الله.

الجواب: الحمد لله.

أما هذا الحديث فإنه من الأحاديث التي اختارها النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «الأربعين النووية» المعروفة، وقال فيه: حديث صحيح رُوينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وذكره بهذه العبارة إمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «كتاب التوحيد».

والذين ضعفوه: ضعفوه لأجل أن في إسناده نعيم بن حماد، وقد قال عدد من أهل العلم: إنه ضعيف من قبل حفظه علىٰ إمامته في السنة وقوته علىٰ أهل البدع والمحدثات.

وهذا الذي أعلُّوه به ليس بوجيه من جهتين:

الجهة الأولىٰ: أن تضعيف نعيم ابن حماد ليس بالتضعيف الذي طرحوا ومعه حديثه مطلقا، وإنما إن قيل بتضعيفه كيف لمن قال ذلك فهو يقبل حديثه إذا تُوبع أو إذا صار لحديثه شواهد.

وهذا الحديث الذي صححه النووي ليس فيه شيء جديد؛ بل هو معنىٰ قول الله جل وعلا في سورة النساء: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، قال العلماء هذا الحديث في معنىٰ الآية.

وإذا كان كذلك فإن هذا الحديث صحيح لأن الآية شاهدة له، وهذا علىٰ التنزل علىٰ أن الحديث إسناده ضعفا.

والوجه الثاني من ذلك: أنه من المتقرر من أهل العلم أن الحديث إذا كان يشهد له آية من القرآن فإنه يصح من ذلك الحديث، وينسب مع ذلك للنبي ﷺ، ذكر هذه القاعدة في غير موضع ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره العظيم للقرآن جامع البيان، وكذلك في كتابه «تهذيب الآثار»، وهو الذي عليه عمل أهل العلم.

فإذا كانت الآية في معنىٰ الحديث فإنه لا إشكال أن يقال أن الحديث صحيح لأنه ليس فيه معنىٰ يخالف ما جاء في الكتاب ولا في السنة؛ بل إن ما فيه موافق للقرآن وما في السنة.

الشق الثاني من السؤال مسألة الاحتجاج بالحديث الضعيف في العقائد والأحكام، هذه المسألة لها أحوال، ذلك أن الحديث ضعيف -يعني ما ستتكلم عليه هو الحديث الذي لم يشتد ضعفه- وذلك بأن يكون في الإسناد راوٍ ضعيف الحفظ أو لين أو مقبول أو مستور الحال أو نحو ذلك، فهذا تقبل له الشواهد، وإذا وجد ما يشهد أو يستشهد له به فإنه يقوىٰ وينتقل من الضعف إلىٰ الحسن لغيره.

في العقائد أهل الحديث لا يحتجون بحديث الضعيف في العقائد، وقد قال هذه الكلمة شيخ الإسلام ابن تيمية لأن العمدة في هذا الباب علىٰ طريقة الحدثين المتقدمين من أئمة السنة كالسفيانين وعبد الرَّحمٰن بن مهدي ويحيىٰ بن سعيد القطان وكالإمام أحمد وعلي ابن المديني ويحيىٰ بن معين وإسحاق

ابن راهوية والحميدي والبخاري ومسلم والترمذي إلىٰ آخر أولئك الأئمة، العمدة في هذا الباب علىٰ أقوالهم وعلىٰ تقريراتهم.

فالحديث الضعيف قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده وإما في فرع من الفروع.

فأهل الحديث يذكر عنهم شيخ الإسلام أن طريقتهم أن يستدلوا بالحديث الضعيف في تأييد أصل من الأصول، إذا كان الأصل ثابتا في الكتاب والسنة فلا بأس أن تحشد له ما جاء من الأحاديث حتىٰ ولو كانت ضعيفة، أو في فرع من الفروع أي في مسألة فقهية تورد لها الحديث الضعيف، وذلك إذا لم يكن في الباب إلا هو.

وهذه هي طريقة الإمام أحمد أكثر أهل الحديث في أنهم يحتجون بالحديث الضعيف في الفقه إذا لم يكن في الباب إلا هو، لأنه الحديث ضعيف خير من الرأي، والمقصود بالحديث الضعيف الذي يقبل أن ينجبر.

أما في فضائل الأعمال فيجوز أن يستشهد بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وأن يذكر لأجل ترغيب الناس في الخير، وهذا هو المنقول عن أئمة الحديث وأئمة السلف وقد روىٰ عن سفيان وعن غيره قال: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل تساهلنا.

وهذا في باب الترغيب والترهيب فيه واسع بشرط أن يكون ما حواه ذلك الحديث من الترغيب أو من الترهيب لا يناقض أصلا أو لا يناقض قاعدة أو آية أو حديثا.

والله أعلم.

سؤال (٢): فضيلة الشيخ تكلمتَ عن المسابقة مع الزمن في عمل الخير والدعوة إليه، فيا ليت لو تذكر الفرق بين ذلك، والعجلة المنهي عنها في الدعوة؟

الجواب: المسابقة هي أن يُستغل الوقت؛ جميع الوقت في عمل الخير؛ لأنك إذا تأخرت في الإقدام علىٰ الخير فإن أهل الشر لن يتأخروا في الإقدام علىٰ الشر والدعوة إليه وتحبيب الباطل والشهوات إلىٰ الناس، فإن علمت سابقتهم وصاحب الخير سابق بإذن الله.

وأما لا العجلة المنهي عنها في بعض الآيات وفي بعض الأحاديث كقوله جل وعلا: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم]. وكقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**ولكنكم قوم تستعجلون**» هذا المراد به العجلة في حصول ما وعد الله جل وعلا به من النصر لأوليائه والعز لأهل طاعته والذل لأهل معصيته.

فهذا هو الذي نُهي عن أن يستعجل قدر الله جل وعلا أو أن يستعجل أمر الله جل وعلا.

والأمر الثاني مما نهي عنه في الاستعجال أن تحمل المرء العجلة أن يرتكب منهيا عنه في الدعوة، أو أن يرتكب وسيلة من الوسائل التي لا يقرها أهل السنة والجماعة ولا توافق ما جاءت به النصوص لأجل

تحصيل الخير، فإن أهل السنة ليست عندهم الغاية تبرر الوسيلة؛ بل لابد أن تكون الوسيلة مشروعة حتىٰ توصل إلىٰ الغاية المحمودة.

وإذا نظرت إلىٰ قصص الأنبياء هذا نوح عليه السلام مكث في قومه ما مكث، مكث فيهم ألف سنة إلىٰ خمسين عاما وما آمن معه بعد ذلك إلا قليل، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠﴾[هود]، قال المفسرون: إن الذي آمن مع نوح بضعة عشرة ما بين رجل وامرأة. وأكثر ما قيل إنهم كذا وسبعون ما بين رجل وامرأة، هذه حصيلة ألف سنة إلا خمسين عاما.

ليس المقصود أن تحصل النتائج، ولكن المقصود أن تسعىٰ في الدعوة والخير والإصلاح علىٰ نور من الله وعلىٰ وفق ما قرره أهل العلم وما دلت عليه النصوص حتىٰ تكون هذه العبادة وهي الدعوة صائبة، أما إذا استعجل في ذلك استعجل في الإصلاح، بمعنىٰ اتخذ المرء وسيلة غير مقرة شرعا لأجل أن يصل إلىٰ النتيجة، فإنه إن وصل لا يكون محمودا لأنه اتخذ وسيلة غير مشروعة، فلابد أن تكون الوسيلة مشروعة، ولابد أن تكون الغاية محمودة.

والله أعلم.

سؤال (٣): فضيلة الشيخ: قلتم أن الحق أنواع، فهل الحق يتعدد؟

الجواب: هذا السؤال كأن السائل يريد أن نوضح له ولغيره هذه المقالة، الحق واحد لا يتعدد؛ يعني الحق الذي يرضاه الله جل وعلا، وهو حكمه الشرعي، واحد لا يتعدد، في المسائل التي اختلف فيها العلماء، ليس ثم حق وحق وحق؛ بل الحق واحد، ومن خالف الحق إما أن يكون مخطئا معذورا وإما أن يكون عاصيا.

وأما الحق الذي عنيناه هو فروع ذلك الحق، وهذا كقوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام:١٥٣] فوحَّد الصراط وهو سبيل واحد، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فجعله صراطا واحدا، وجعل سبل الباطل كثيرة فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾، ومع ذلك لسبيل الله جل وعلا لسبيل الحق سبلا قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت]، السبل هذه في داخل الصراط، سبيل واحد يجمعها، وهو القرآن وهو الإسلام وهو السنة كما فُسّر بذلك قوله جل وعلا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة:٦]، أن الصراط المستقيم هو الإسلام والسنة والقرآن، وهذا الصراط في داخله سبل وفي داخله شعب؛ لكن ليست مفرقة عن ذلك السبيل ليست مبعدة من سلكها عن ذلك السبيل الذي هو فيها إن سلك شعبة من تلك الشعب فهو فيها.

وكذلك إن قلنا: إن الحق أنواع، وإن الحق ذوا فروع وله شعب فنزيد فروع الحق الداخلة في السبيل الواحد وفي الحق الواحد.

سؤال (٤): فضيلة الشيخ: من العلم ما تعلمه ضروري متعين علىٰ كل أحد، ما الطريقة المثلىٰ لتحصيله؟

الجواب: العلم قسمان: فرض عين وفرض كفاية.

فرض العين هو الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يتعلمه؛ وهو ما به تصح عباداته وتصح معاملاته، وأصل ذلك أن يصح القلب في الإخلاص؛ يعني أن يتعلم التوحيد وضده، هذا فرض عين، وأن يتعلم ما تصح به صلاته من الشروط والأركان والواجبات، يتعلم هذا فترة من عمره أسبوع علىٰ أحد أهل العلم حتىٰ يضبط ذلك.

كذلك إذا كان له أموال يتعلم كيف يخرج الزكاة، أو كيف يحصي الزكاة، وكيف يحسب الزكاة، إذا كان يبيع ويشتري لا بد أن يتعلم أحكام البيع الجائز وأحكام البيع غير الجائز، ويسأل أهل العلم حتىٰ يكون فيما يأتي ويذر علىٰ بينة.

هذا القسم فرض عين، فكل من يحتاج في العمل أو في العبادة إلىٰ أحكام شرعية يمارسها دائما فإنها تكون فرضا عليه في صلاته وزكاته وسائر أركان الإسلام.

مِن أمثل ما يُطلب به ذلك في التوحيد «كتاب ثلاثة الأصول» للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن ذلك الإمام نظر إلىٰ سؤال الملكين في القبر يسألان العبد عن ربه وعن دينه وعن نبيه ﷺ، إذا دخل العبد القبر، إذا أُدخل القبر ووري عليه التراب أتاه الملكان فيسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ هذه الأسئلة الثلاثة سماها الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سماها ثلاثة الأصول، وأجاب عنها وأجاب عن هذه الأسئلة بالأدلة في رسالة صغيرة سماها «ثلاثة الأصول»، هي أجوبة تلك المسائل، فمن درسها وتحفّظها وكانت دائما علىٰ ذُكْرٍ منه فإنه حري بالتثبيت في ذلك السؤال.

قال العلماء: يكفي أن يتعلم أجوبة تلك المسائل في عمره مرة مع دليلها حتىٰ ولو نسي بعد ذلك كافيا، إلا إذا أتىٰ ردة تتخلل ذلك فإنه يجب عليه أن يعود فيتذكر ذلك ليدخل في الإسلام عن دليل لا عن تقليد.

هذا في التوحيد هذه رسالة مختصرة.

أما في أمور الصلاة والزكاة، فله أيضا رسالة سماها «آداب المشي إلىٰ الصلاة» عن بعض كتب الفقهاء.

سؤال (٥): فضيلة الشيخ: كثرت هذه الأيام بين الشباب النقاشات والجدال وبين محق وبين مخطئ، وذلك يعود لأسباب أهمها اتباع الهوىٰ وترك منهج السلف الصالح، فإذا قيل لأحدهم قال الله قال رسوله كان جوابه هذا صحيح؛ ولكن ثم بدأ يعدد حججا عقلية لا صلة لها بالدليل، هل من وصية لهذا الصنف من الشباب؟

الجواب: الوصية وصيتان، وصية لهذا الصنف ووصية أيضا لغيره.

أما الوصية لهذا الصنف: فإنها ضُمّنت في أثناء المحاضرة في أن الواجب علىٰ العبد أن يكون مخلصا لله جل وعلا مبتعدا عن الهوىٰ وعن أسبابه، وأهل الدين وأهل الخير كل يريد صلاح قلبه ونفسه وصلاح من حوله، ولا بد أن يحاسب المرء نفسه في أن يكون الدليل وقول أئمة أهل السنة وأئمة الإسلام وعلماء

السنة وأن يكون قولهم محكَّما وألا يذهب إلىٰ آراء وأفكار ليست مقرًّا بها عند أولئك الأئمة وليست معروفة عند أهل السنة فيما كتبوا في عقائدهم وأقوالهم.

فالواجب علىٰ هذا وعلىٰ أمثاله أن يتقوا الله جل جلاله، وأن يسعوا في تطبيق السنة في أنفسهم قولا وعملا، وأن يتبعوا ما قال الله جل جلاله وما قاله رسوله ﷺ، وأن لا يكون في القلب حرج مما جاء في الكتاب والسنة.

فإن الصحابة رضوان الله عليهم لما عاهد النبي ﷺ قريشا وأمدّها في عهدها عشر سنوات في الصلح المعروف بصلح الحديبية، كان كثير من الصحابة أن الخير في قتالهم، وأن جهاد أولئك المشركين وفتح مكة أنه خير.

فالنبي ﷺ أعطاهم ما أعطاهم حتىٰ قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل؟ قال: «**بلىٰ**» قال علىٰ ما نقبل الدية في ديننا؟ والنبي ﷺ إنما بلّغ وفعل ما أمره الله جل وعلا به، فكانت عاقبة اتباع أمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ وطاعة الله وطاعة رسوله أن كان ذلك الصلح الذي كان ظاهره ضد المسلمين وضد الصحابة أن كان ذلك الصلح فتحا مبينا، أنزل الله جل وعلا فيه آيات عظيمات قوله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[الفتح]، وذلك الفتح هو صلح الحديبية؛ لأن الله جل وعلا جعل ذلك الصلح فيه من الخيرات والفتح للمسلمين ما قووا به وما انتشرت به الدعوة، وتبعه فتح خيبر وتبعه انتشار الإسلام وقوة أهل الإسلام علىٰ من عاداهم، فكان فيه أنواع من الخير والفلاح.

فإذن طاعة الله وطاعة رسوله هو الخير وهي الصلاح فإذا ترك العبد هواه وما يشتهي وآراء التي في ذهنه أو في قلبه إلىٰ ما دلت عليه النصوص علىٰ فهم الصحابة وعلىٰ فهم أئمة الإسلام فإن ذلك عاقبته هي الخير ولا بد من الإتباع وترك الابتداع والحق قديم.

الجهة الثانية أنه يجب علىٰ المسلمين وخاصة الذين يهتمّون بهذه الأمور وأمور الخلافات أن يمتثلوا الوصية العامة بالائتلاف وعدم الاختلاف وأن لا يجعلوا للشيطان عليهم مدخلا، فالنبي ﷺ أمرنا في الصلاة بتسوية الصفوف وقال: «**لتسونّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم**» وقال أيضا: «**لينوا بين يدي إخوانكم**»، وهذا هو الواجب وهو أن يتعاون مع إخوانه علىٰ البر والتقوىٰ، وأن لا يتعاون معهم علىٰ الإثم والعدوان، وأن لا يعتقد أنه هو المفضل علىٰ غيره بل يحاسب نفسه ويتمنىٰ أن يكون غيره مهتديا، كما أن الله جل وعلا هداه، وكل يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

والواجب علىٰ الناس الائتلاف وعدم الاختلاف؛ لأن الله جل وعلا من علينا بالائتلاف والمحبة ومن علينا بأنه لا مشاحنات ولا تحزبات ولا فئات فيما بيننا.

هذه نعمة عظيمة وتحصل النزاعات ويحصل الافتراق إذا فرط العباد في أر الله جل جلاله كما قال جل وعلا مخبرا علىٰ النصارىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۝١٤﴾[المائدة]، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ يعني

أن يتبعوا العلم وأن يتركوا الهوىٰ وأن يتبعوا ما جاءهم وما أُخذ عليهم من الميثاق، ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني تركوا بعض ما ذُكِّروا به، تركوا نصيبا مما أمروا به ومما نهوا عنه، فماذا حصل؟ كانت العاقبة أن عاقبهم الله جل وعلا في الفرقة فيما بينهم قال سبحانه: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وقد قال ابن شهاب الزهري وغيره: إنما تفرقت اليهود النصارىٰ من قبل الآراء والأهواء. فالآراء والأهواء هي التي تفرق، واعتماد الدليل واعتماد ما جاء به الرسول ﷺ عن ربه جل وعلا هو الذي يجمع الناس ويؤلف بين قلوبهم، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣].

نعمة عظيمة يجب علىٰ الصغار والكبار والشباب والشيب أن يسعوا في تثبيتها وفي تحصيلها، وإذا حصل أخطاء وزلات فإن الواجب المناصحة بدل المعاداة؛ لأن لكل مؤمن نصيب من الوَلاية والمحبة قال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[التوبة:٧١]، فإذا قام اسم الإيمان كان لصاحبه نصيب من الولاية والمحبة، ومن محبة المؤمن للمؤمن، ومن موالاة المؤمن للمؤمن أن يسعىٰ في خيره، وأن ينصح له ويحب له ما يحبّ لنفسه.

هذا وأسأل الله جل وعلا لي ولكم مغفرة الذنوب والتسديد في الأقوال والأعمال وأن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يوفقنا وأن يوفق ولاة أمورنا وعلماءنا والمسلمين أجمعين لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يعيذنا من شر أنفسنا والشيطان، وأن يقيمنا علىٰ الهدىٰ ما حيينا، وأن يتوفانا وهو راض عنا، وأن يجمعنا في الجنة كما جمعنا في هذا المسجد.

اللّٰهمَّ استجب، اللّٰهمَّ اغفر فاغفر جما.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.